

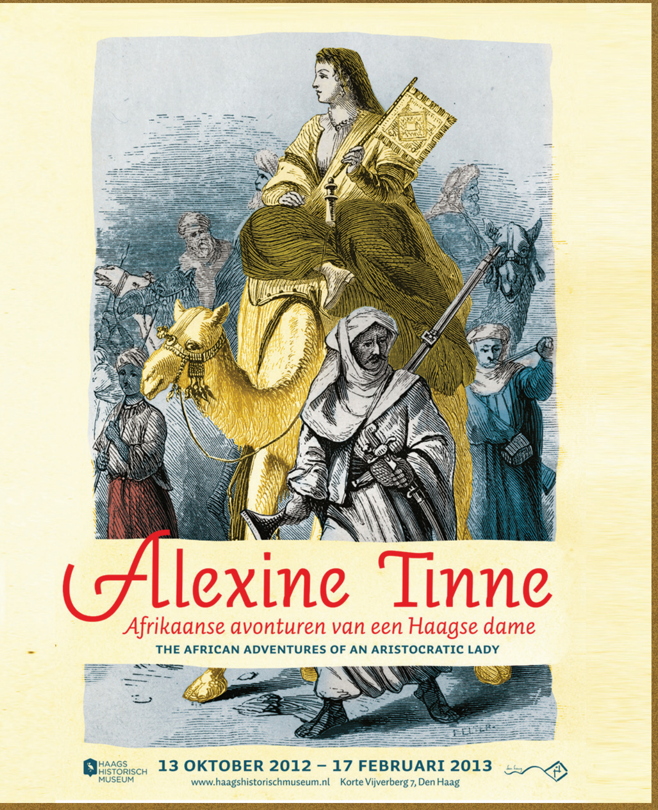
من معروضات متحف لاهاي للفنون
لوحة للمستكشفة الهولندية أليكسينا تينيه
بريشة الرسام هنري أوغست

أليكسينا تينّيه .. النهاية في الصحراء

الحسناء الهولندية (أليكسينا أو أليكساندرا)، ابنة رجل الأعمال الثري فيليب تينيه، وُلدت في لاهاي يوم 17 من اكتوبر سنة 1835 و عاشت في هولندا وإنجلترا وسافرت إلى عدة دول وهي صغيرة، برَعت في عزف البيانو وتلقّت تعليما مرموقا، وعندما تُوفي والدها وهي صغيرة ورِثت عنه ثروة كبيرة جدا، فيما بعد أُغرمت الشابة الهولندية بالاستكشاف والسفر في إفريقيا رغم صعوبة ذلك العمل، لكنها كانت بالفعل أول رحالة أوربية أنثى تخترق الصحراء في رحلات استكشافية على خُطى فريديريك هورنمان وغيرهارد رولفس وكبار الرحالة الأوربيين.

في سنة 1861 م اتجهت إلى السودان عبر مصر في أولى رحلاتها التي لم تكن سهلة على الإطلاق، وسجّلت مُشاهداتها في القرى والمدن السودانية والنيل الأبيض لتَكون أول مُستكشفة أوربية تصل هناك، ونشرت تلك الرحلات في كتاب ولا تزال تنشر إلى اليوم، وفتح لها هذا الإنجاز باب الشهرة على مِصراعيه لكنها لم تكتفِ أبدا بتلك الرحلة واستمرت بعد ذلك للتحضير لرحلاتها اللاحقة، وفي سنة 1869 أرادت أن تستكشف عالَم الطوارق وتخترق الصحراء الليبية من طرابلس وصُولا إلى تشاد عبر فزان، وبدأت تلك الرحلة بشكل جيد في البداية، حيث كان بِرفقتها الرحالة الألماني الدكتور ناختيجال (Nachtigal) الذي كان سيبدأ رحلته من طرابلس أيضا نحو برنو عبر تيبستي وقام بمرافقتها حتى مدينة مرزق، وكان برفقتها أيضا حراس محليّون أشار بعضهم أنهم ربما لم يكونوا بالقوة والشجاعة اللازمة لحمايتها، مع خادمين هولنديين إضافة للرحالة الشاب غوتلوب كراوزه الذي افترق عنها في مرزق وعاد ادراجه نحو طرابلس ثم إلى بلده ألمانيا.

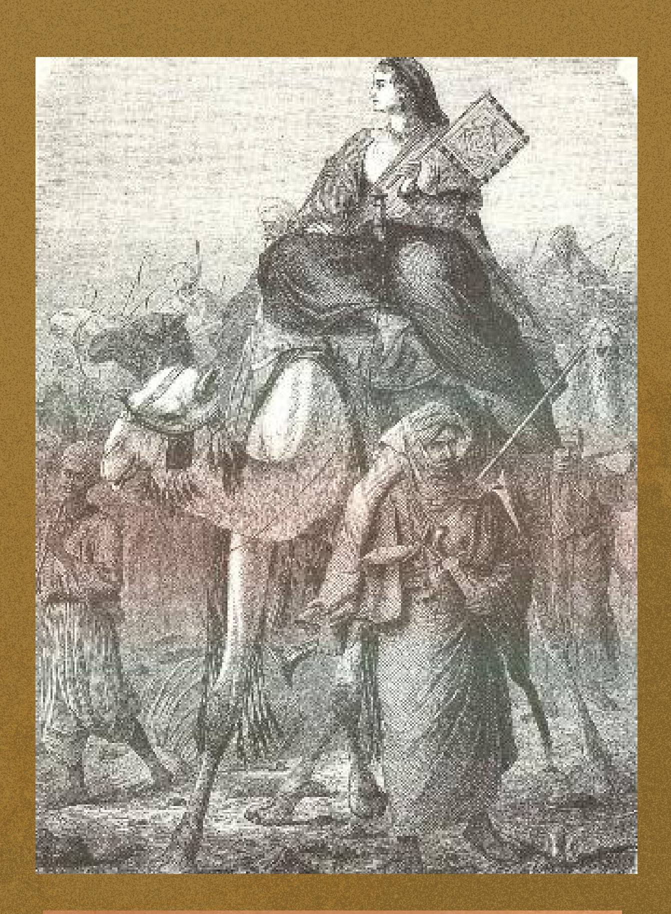
وقد كتب الرحالة (ألبارون هينريك فون مالتسن) الذي زار طرابلس مقالة ضمن سلسلة مقالاته في الجريدة العامة بميونيخ التي حملت عنوان (رسائل من طرابلس) تطرق فيها إلى التحقيقات بشأن مقتل تينيه وذلك سنة 1870 م يقول فيها: (إن التحقيق بشأن مقتل الآنسة تينيه يتحرك مُتثاقلا، ويمكن الوقوف على مدى الحماس للتّعامل مع القضية، حقيقةً و أنه من خلال السنة التي انقضت منذ عملية القتل لم يتم القبض على القتلة، وأنّ القنصل المكلّف بالتحقيق كَتب مؤخرا إلى ناختيجال في مرزق قائلا : ولكن أين عثمان البوسيفي ؟ وعثمان هذا يُعتبر المتّهم الرئيسي ولا يدور حول تُهمته أي شك وهو يعيش بكل هدوء مع شركائه في الجريمة في ظلّ قبيلته بوادي الشاطئ، ولم يحاولوا حتى الآن ولو لمرة واحدة القبض عليه).

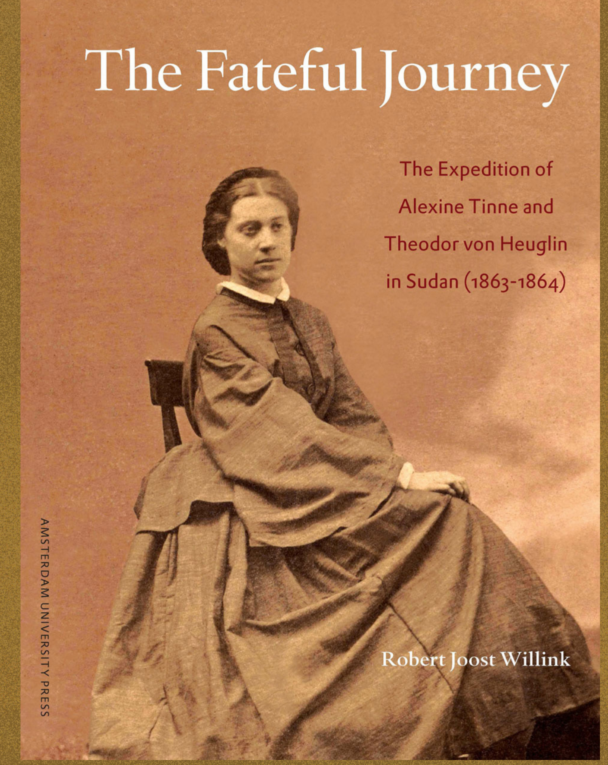


هذه الأسطر كتبها فون مالتسن بعد عام واحد من مقتلها، ويبدو أن المشتبه به لم يتم القبض عليه مُطلقا لا حينها ولا بعد ذلك، وتدور حول الجريمة الغامضة عدة احتمالات.

بعد ذلك بفترة قليلة وفي الأول من أغسطس سنة 1869 وفي قلب الصحراء الليبية المُقفرة اختفت ألكسينا تينيه في ظروف غامضة ولم يتم العثور على أي أثر لها، تبيّن فيما بعد أنها قُتلت طعنا لكن أحدًا لم يعثر على رفاتها قط، ولا يُعرف لها قبر إلى يومنا هذا، كما أن التحقيق في مَقتلها لم يصل إلى القاتل الحقيقي على وجه التحديد، رغم توَصُّله إلى معلوماتٍ دقيقة حول طريقة قتلها حيث طُعنت في رقَبتها ويدها وتُركت تَنزف حتى الموت وقد قُتل كلا الهولنديين الذيْن رافقاها.

يرى البعض أن مقتلها كان له أسباب تَتعلق بالزّعامة وخِلافات داخلية بين الطوارق، ولم يكن مَقتل السيدة تينيه سِوى مُجرد رسالة للوالي العثماني لِيبان سَخطهم وعدم رضاهم عن الزّعماء الذين يتعامل معهم، ورغم ان مرزق ووادي الشاطئ كانت آن ذاك تخضع للسّلطة العثمانية كما ذكر فون مالتسن إلا أن قبضة العثمانيين لم تكن مُحكمة هناك ولا يَعدُوا الأمر عن كَونه تعاملا واتفاقات مع زعماء القبائل والمدن، والطوارق على وجه الخصوص لم يكن من اليسير السيطرة عليهم وعلى مناطق نفوذهم وسط الصحراء.





ويشير البعض إلى أن الجريمة ربما كانت عَرضية ومُجرد سطو مُسلح من بعض قُطّاع الطرق، وهي حوادث قد تقع في مناطق صحراوية كتلك التي كانت تسير فيها أليكساندرينا تينيه ومرافقوها.

فيما نشر الرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزه – الذي رافقها حتى مرزق – سلسلة مقالات في جريدة الصليب الألمانية سنة 1875 تحت عنوان (ذكريات عن سيدتي)، انتهى من خلالها إلى نتيجة تقول أن مَن دبّر لقتلها هو شخص إيطالي كان يُقيم في غات، وقد رفضت السيدة تينيه ضمّه إلى فريقها في الرحلة بعد أن عرض هو خدماته، اثر ذلك قام بالتنسيق مع بعض مُرافقيها لتنفيذ جريمة القتل والحُصول على أموالها وقد كان على عِلم بثرائها.

يُذكر أن (فون مالتسن) و (غوتلوب كراوزه) كان بينهما الكثير من النقاشات والاتهامات في مقالاتهما حيث هاجم فون مالتسن كراوزه كثيرا في حديثه عن قضية القتل حيث كتب في إحدى مقالاته قائلا :- (أما ابن بلدنا كراوزه الشاب الذي لم يترك الخدمة لدى الآنسة تينيه إلا قبل مصرعها بوقت قصير فإنه تخلّص بذلك من الموت المؤكد، وهذا الشاب الذي يعيش حاليا في وطنه الأم وهو مُنشغل في تدوين مُشاهداته التي تتّسم بالطرافة، لقد وصلتني بعض الأخبار وهي تتسم بالتناقض مع ما حكاه لي عنه القناصِل في طرابلس).

لكن كراوزه دافع عن نفسه وقال أن السيدة أخذته لرفقتها وهو صغير في السن لرعاية كلبها، لكنها لم تُفضّل أن يستمر معها بعد نُفوق كلبها لذلك غادر عائدا من مرزق.

ومهما يكن من أمر ،، تَظل هذه الحادثة الغامضة من ألغاز الصحراء الكثيرة قدِيما وحديثا، وقد لاقت المُستكشفة أليكسينا تينيه الكثير من الاهتمام والتقدير، ويوجد جناح خاص بها في معرض لاهاي للفنون بهولندا يَعرض مُقتنياتها ولوحاتها ورحلاتها وصورها ويحكي سيرتها، كما تناول العديد من الكُتّاب والرّحالة قديماً وحديثاً قصة حياتها وقضية مقتلها في الصحراء الليبية.